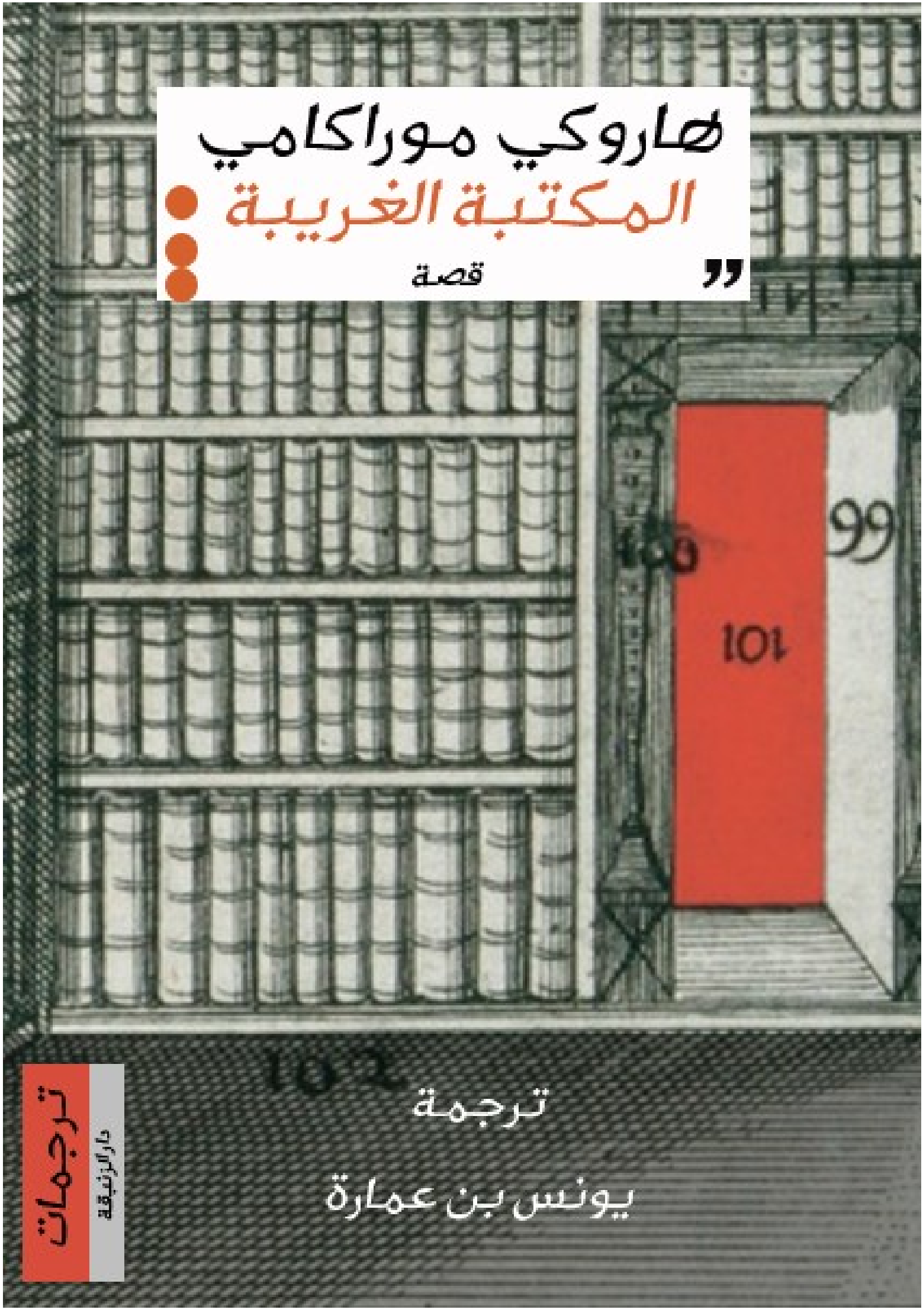

هاروكي موراكامي

المكتبة الغريبة

قصة

ترجمة

يونس بن عمارة

ترجمات

دار الرقيقة

المكتبة الغريبة © هاروكي موراكامي 2014

الترجمة للعربية : يونس بن عمارة .

للتواصل مع المترجم : younes2kc@gmail.com

النسخة التي تمت الترجمة منها هي النسخة الانجليزية التي نشرتها :دار نشر الفرد كنوبف. ALFRED A. KNOPF

المكتبة الغريبة

المكتبة كانت هادئة على غير العادة .

يتناهى الي صوت الاحذية الجلدية التي تطرق الارضية الرمادية الملمعة ، صوتها القوي والجاف كان يختلف عن صوت خطواتي العادية .كل مرة اشتري فيها حذاء جديدا كنت اخذ فترة كي اعتاد على الوقع الذي تحدثه .

كانت هناك امرأة لم ارها من قبل تجلس على الطاولة المستديرة تقرأ كتابا كبيرا ، كان كبيرا جدا بطريقة غير عادية ، كان يبدو و كأنها تقرا الصفحة اليمنى للكتاب بعينها اليمنى والصفحة اليسرى بعينها اليسرى .

قلت (عذرا) .

صفقت الكتاب بشدة على مكتبها ورفعت راسها لتحدّق في ، قلت لها :

"لقد أتيت لأعيد هذه الكتب" . قلت هذا وانا اضع الكتب على الكاونتر ، احدهما كان "كيف تبني غواصة" والاخر "مذكرات راعي" .

تصفحت موظفة المكتبة الصفحات الاخيرة للتحقق من تاريخ الاعارة ، لم يكونا قد تجاوزا الوقت المحدد ، كنت دائما اعيدها في الوقت ، ولم أتأخر ابدا في ذلك ، هذا ما لقنتني اياه امي ، راعو الغنم ايضا كانوا مثلي .. لو لم يكونوا يلتزمون بالتوقيت سيصبح القطيع في حالة يرثى لها .

المكتبية ختمت بختم (تمت اعادته) على البطاقة بحركة استعراضية ، وتابعت قراتها .قلت لها :

" انا ابحث عن بعض الكتب ايضا "

"اتجه إلى اليمين في أسفل الدرج"، أجابت دون النظر حتى. " مباشرة أسفل الممر إلى الغرفة 107."

نزلت درجا بدا لي كانه رحلة طويلة من السير ..استدرت يمينا .ثم مشيت خلال ممر مظلم حتى وجدت اخيرا بابا كُتب عليه الرقم مئة وسبعة ، كنت قد زرت المكتبة مرارا ، لكن الطابق الارضي كان جديدا بالنسبة لي .

طرقت الباب ، كانت مثل اي طرقة للباب اقوم بها ، عادية جدا ..لكن الصوت بدا لي كما لو ان احدهم ضرب بوابات الجحيم بمضرب بيسبول ، انتشر الصدى في كل مكان عبر الممر .استدرت لأهرب ، لكنني لم اخطو حتى خطوة واحدة مع انني ارغب في ذلك .لم يكن هذا من طبعي الذي نشأت عليه، فأمي لقنتني انه اذا ما طرقت الباب علي الانتظار حتى يجيبني احدهم.

" ادخل " اجابني صوت من الداخل . كان ضعيفا لكنه عميق .

فتحت الباب .

في وسط الغرفة كان هناك عجوز ضئيل يجلس خلف مكتب قديم وصغير .كانت هناك نقط سوداء تغطي وجهه كأنها سرب من الذباب .العجوز كان اصلع ويرتدي نظارات سميكة . لم يكن اصلع بصفة كاملة ،كان يملك بعض الشعر الجعد على جانبي راسه .كان رأسه هكذا يبدو كجبل بعد حريق غابات كبير .

" مرحبا ، بني " قال العجوز . " كيف يمكن ان اساعدك ؟"

" انا أبحث عن بعض الكتب ، لكنني ارى انك مشغول بعض الشيء ، لذا لا باس ان اعود في وقت لاحق ."

" هراء .." رد علي العجوز " هذا هو عملي ، لم اكن مشغولا أبدا، اخبرني حول الكتب التي تبحث عنها وسأسعى جاهداً كي اتي لك بها "

كم هي طريقة مرحة ومضحكة للكلام !. فكرتُ ، وجهه كان غريبا جدا ، شعيرات طويلة كانت تخرج من اذنيه ، وكانت هناك زائدة جلدية تحت ذقنه كأنها بالون مثقوب .

" و ما الذي تبحث عنه بالضبط يا صديقي الصغير ؟ "

" انا ابحث عن كتاب يتحدث عن كيفية جمع الضرائب في الامبراطورية العثمانية ."

لمعت عيون الرجل العجوز " اه .. فهمت "

" جمع الضرائب في الامبراطورية العثمانية ؟، انه موضوع رائع فعلاً "

هذا جعلني غير مرتاح ، كي اقول الحقيقة ، لم اكن اتوق لمعرفة هذا الموضوع بشدة ، كل ما في الامر ان الموضوع بزغ في ذهني في طريقي للعودة للمنزل من المدرسة ، وقتها فكرت بفضول : كيف كان العثمانيون يجمعون الضرائب ؟ وهكذا ..ومنذ ان كنت صغيرا كانت امي تقول لي ، عندما تجهل شيئا ما .. اذهب للمكتبة وابحث عنه .

" ارجوك لا تزعج نفسك .. ليس الامر مهما ..انه موضوع اكاديمي بعض الشيء .."

كنت اود ان اخرج من الغرفة الموحشة بأسرع ما يمكن .

" لا تستهن بي " قاطعني العجوز .

" نملك عددا من المجلدات التي تحكي عن جمع الضرائب في الامبراطورية العثمانية هل تعتقد انك اتيت للمكتبة كي تلعب ؟ في هذه المكتبة ؟ ما هو هدفك؟ "

" لا سيدي لم تكن هذه نيتي ..لا انوي اللعب مع اي احد "

" اذن انتظرني هنا كولد مهذب"

" نعم سيدي "

العجوز ترنح من على كرسيه . تزحزح للوراء ثم اتخذ طريقه الى باب حديدي في الجزء الخلفي من الغرفة ، فتحه ..و اختفى داخله ، وقفت هناك لمدة عشر دقائق انتظر عودته ، كانت هناك حشرات سوداء كانت تخدش الجانب السفلي من الضوء على المكتب .

بعد طول انتظار عاد الرجل العجوز يحمل ثلاث مجلدات كبيرة .كانت قديمة بشكل رهيب .. ورائحة الورق القديم عبقت في الغرفة .

" متع عينيك بهذه الكتب "..قال العجوز بإعجاب وفخر " نملك كتابا عن النظام العثماني للضرائب ،اخر هو يوميات جامع ضرائب عثماني ، ثم الثورات ضد الضرائب وقمعها في الامبراطورية العثمانية التركية " لا بد و ان تعجبك هذه الكتب " .

"شكرا جزيلا لك " قلت بشكل مهذب. اخذت الكتب وتوجهت نحو الباب .

" انتظر قليلا " قال العجوز من خلفي . " هذه الكتب تُقرا هنا لا يمكن ان تخرج هذه الكتب باي حال من الاحوال " .

وحقا ، كان كل من هذه المجلدات يحمل البطاقة الحمراء ." للإعارة الداخلية فقط " .ملصقة بكعب كل منها .

" لقراءتها يجب ان تستخدم غرفة المطالعة الداخلية" . قال العجوز مجددا

القيت نظرة على ساعتي .. انها الخامسة وعشرون دقيقة .

"لكن المكتبة ستغلق قريبا ،كما ان امي ستقلق علي لو لم اعد في موعد العشاء "

تحركت حواجب العجوز الكثيفة بشكل يوضح انه اندهش ، " وقت اغلاق المكتبة غير مهم " قالها عابسا .

" هم يعملون حسب ما اخبرهم ..لما اخبرهم ان كل شيء على ما يرام .. لن يتكلموا معك ..السؤال المهم فعلا هو: هل قدّرت فعلا قيمة مساعدتي لك ؟ لماذا تظن اذن انني اخرجت هذه الكتب الثلاث الثقيلة من الداخل ؟ من اجل صحتي مثلا ؟"

" اعتذر لك بشدة " . "لم اشأ ان ازعجك حقا ..لم اكن اعرف ان هذه الكتب لا يمكن ان تخرج ."

سعل العجوز بشدة .. وتنخم فيما يشبه المنديل . كانت البقع السوداء الصغيرة على وجهه ترقص غضبا.

" لا يهم ان كنت تعرف او لا " قالها غاضبا .

" لما كنت في مثل سنك .. كنت اشعر انني محظوظ جدا لمجرد ان اجد فرصة للمطالعة ، والان انت تشكو من انه يمكن ان تتأخر عن موعد العشاء .ما هذا الامر المثير للأعصاب ! ! "

" حسنا سأمكث قليلا هنا واقرأ .. لكن فقط لمدة نصف ساعة ."

لم اكن ابدا جيدا في ان اقول كلمة "لا" او ارفض طلبا من احدهم .

لكن الحقيقة هي انه فعلا لا يمكنني ان ابقى اكثر من هذا الوقت هنا .لما كنت صغيرا عضني كلب في طريق عودتي من المدرسة ..ومنذ ذلك الوقت كانت امي تقلق عليّ جدا لما أتأخر ولو لمدة قليلة .

هدأ الرجل العجوز بشكل ملحوظ .

" اذن ستبقى وتقرأ "؟

" نعم، لكن فقط لمدة نصف ساعة "

" اذن حاذر لما تسير ..وراء الباب الداخلي هناك ممر معتم مضاء بمصباح واحد ، لهذا حاذر وراقب خطواتك " .

"اتبعني فقط" . قال الرجل العجوز .

مشينا فقط لمسافة بسيطة لما ظهر لنا مفترق في الممر . العجوز استدار يمينا .وبعد مسافة قصيرة اخرى وجدنا مفترقا اخر ، هذه المرة مضى يسارا . وجدنا اتجاهين واتجاهين اخرين ..تشعب الممر ثم تشعب مرارا وتكرارا ..وفي كل مرة كان العجوز يختار اتجاهه دون ادنى تحير او تفكر ..احيانا كان يدور يمينا مرات اخرى يسارا .. ومرات اخرى كان يفتح بابا ونلج ممرا مختلفا تماما.

كنت مشوشا وذهني مضطرب ، كان الامر غريبا جدا ان تحتوي مكتبة مدينتي على متاهة كبيرة اسفلها .. في طابقها السفلي ، اعني ان المكتبات العامة كهذه التي تكون ميزانياتها قليلة عادة .. المباني تكون صغيرة على ان تحتوي متاهات كهذه .

فكرت ان اسال الرجل العجوز حول الامر لكني خفت ان يرد علي بغضب شديد كما فعل من قبل .

اخيرا .. المتاهة انتهت بباب حديدي ضخم . كان هناك لافتة على الباب كتب عليها " قاعة المطالعة " المكان كله كان هادئا هدوء المقابر في غطش الليل.

الرجل العجوز اخرج من جيبه حلقة تضم مفاتيح كثيرة واختار منها مفتاحا كبيرا وقديم النوع وادخله في ثقب القفل ، القى علي نظرة سريعة لكنها ذات معنى ..واداره نحو اليمين ، كانت هناك صوت طقة عالية لتحريك القفل ، وانفتح الباب مع صرير طويل و ممتد .." حسنا ،حسنا ها نحن هنا "

" يمكنك الدخول "

"هنا ؟ "

" نعم "

اعترضت قائلا ' لكنها حالكة السواد في الداخل "

في الداخل كان هناك ظلام وكما لو انها ثقبا حالك السواد امتد من الفضاء الخارجي.

استدار الرجل العجوز لي .. واستقام بكامل طوله ..والان فجأة اصبح ضخما .. عيناه تحت حواجبه الكثيفة كانت تلمع كعيون الماعز عند الشفق.

" هل انت من نوع الاطفال المزعجين الذين يجدون مشكلة في كل شيء مهما بدا الامر تافها وقليل القيمة ؟ "

" ابدا يا سيدي .. لست كذلك ابدا .. لكنه يبدو لي ان .."

" اكتفيت من ثرثرتك ..." قال الرجل العجوز .

"لا يمكنني ان اتعامل مع اناس يلقون الي بكومة من الاعذار .. متجاهلين جهود الناس الذين توقفوا لأجلهم وقدموا لهم المساعدة هؤلاء الناس قمامة "

" اسف ..سامحني .. " سأدخل ..

لماذا تصرفت هكذا ؟ اوافق على كلام اود بقوة ان اعارضه .. ادع الناس تجعلني افعل اشياء لا اريدها ..لا ادري فعلا ..

" هناك سلم وراء هذا الباب .تمسك جيدا بالدرابزين كي لا تتعثر ."

سرت اول الامر ببطء حاسبا خطواتي عندما اغلق الرجل العجوز الباب من ورائنا .اصبح كل شيء في ظلام حالك . سمعت صوت غلقه للباب ..

" لماذا اغلقت الباب ؟ "

" هذه هي التعليمات .. الباب يبقى مغلقا طيلة الوقت "

ما الذي يمكن فعله . بدأت نزولي .. كان سلما طويلا جدا ..طويل بما فيه الكفاية كي اصل للبرازيل .. الدرابزين كان متداعيا وصدئا ..ولا يوجد بصيص نور في اي مكان ..

اخيرا ، وصلنا الى اسفل السلالم . تمكنت من رؤية بصيص من النور ـ توهج بسيط كان ضئيلا فعلا لكنه قوي بما يكفي لكي يجعل عيناي تتألم بعد ان كنت في الظلام الحالك لفترة .

احدهم اقترب مني خرج من وراء الغرفة واخذ يدي ..رجل ضئيل يرتدي زي كبش

" مرحبا ..شكرا لقدومك " قال الرجل الخروف.

" مساء الخير " رددت عليه .

لم يكن زيا اصطناعيا لخروف .. كان جلد غنم حقيقي .يغطي كل جسمه تماما ..وكان هناك فتحة تدع وجهه يظهر ...كانت عيناه لطيفتان .كان الزي يناسبه فعلا ..نظر اليّ الرجل الخروف لوهلة، ثم لمحت عيناه الثلاث كتب التي كنت احملها .

" مرحى مرحى ..اتيت هنا لتطالع ؟؟ صحيح ؟ "

نعم . اجبته .

" انت تقصد انك اتيت هنا حقيقة كي تطالع هذه الكتب ؟"

كان هناك نوع من الغرابة في طريقة حديث الرجل الخروف .

لم اجد حتى الكلمات كي ارد عليه بها .

قال الرجل العجوز " هيا .. اخبره اتيت هنا لتطالع .. اليس كذلك ؟ اعطه اجابة واضحة "

" نعم اتيت هنا كي اطالع "

" لقد سمعته " زعق الرجل العجوز .

" لكن يا سيدي .. انه مجرد طفل " رد الرجل الخروف.

"صه " رعد الرجل العجوز واخرج عصا من خشب الصفصاف وضرب بها وجه الرجل الخروف .. وقال له " خذه الى غرفة المطالعة حالا" .

كان الرجل الخروف يبدو خائفا .لكنه اخذ بيدي على اية حال .وكانت العصا قد تركت اثرا احمر على جانب شفته .

"حسنا .لنذهب "

"اين ؟"

"الى غرفة المطالعة . انت اتيت هنا كي تطالع هذه الكتب .صح ؟"

الرجل الخروف قادني الى اسفل ردهة ضيقة .الرجل العجوز كان يسير بالقرب منا ..كان هناك ذيل صغير يتدلى من زي الرجل الخروف يتأرجح كالبندول طيلة سيرنا .لما وصلنا لنهاية الرواق .قال الرجل الخروف "حسنا حسنا.. ها نحن ذا ."

" سيدي الرجل الخروف .. هل هذه زنزانة سجن ؟ "

" نعم ، بالتأكيد "

" يبدو انه قد جن جنونك " قال له الرجل العجوز .

" لكن أليس هذا ما اخبرتني به "

" لقد قطعت كل هذه المسافة كي نذهب لغرفة المطالعة" قلت للرجل العجوز.

" لقد اوقع بك " اومأ الرجل الخروف قائلا.

" هذا صحيح .لقد استغفلتك حتى اتيت بك الى هنا "

" كيف يمكنك ان تفعل هذا ؟"

" صه .. ايها الاحمق " زعق فيّ الرجل العجوز .. لوح بعصا الصفصاف امام رأسي. بسرعة تراجعت من امامه ..لا اريد ان يضرب وجهي بهذا الشيء..

" ولا كلمة .. ستقوم باستظهار هذه الثلاث مجلدات من الغلاف الى الغلاف "

" شهر من الان ... سأقوم شخصيا بامتحانك ..لو تمكنت من معرفة انك قمت باستظهارها كاملا .. سأطلق سراحك " .

"من المستحيل ان استظهر هذه الكتب الثلاثة بهذا الحجم الثخين ،كما ان امي قد بدأت بالقلق علي الان ."

كشر الرجل العجوز عن اسنانه .. و سحنته اصبحت صارمة ..ابتعدت عن طريقه ..ضرب الرجل العجوز الرجل الخروف في وجهه ،كان هذا حقا امرا مؤسفا وغير

عادل..زعق العجوز غاضبا في الرجل الخروف مجددا " ادخله للزنزانة .. لقد تركته لك .." اطاعه الرجل الخروف والتفت ..

" هل تأذيت ؟ "

"انا بخير .. انا معتاد على ذلك ". وفعلا كان يبدو انه كذلك .

" اكره ان افعل هذا .. لكنني مجبر على ان اغلق عليك الباب ."

" ماذا لو رفضت ذلك .. ماذا لو رفضت ان ادخل هناك .؟ ما الذي سيحدث ؟ "

" عندها سيضربني مجددا بشكل اقوى واقسى .."

كنت اشعر بالاسى من اجل الرجل الخروف لذا دخلت للزنزانة .كان هناك سرير بسيط ..مكتب ، حوض اغتسال ، و مرحاض ، كانت فرشاة الاسنان والكوب بالقرب من الحوض .كان المكان يبدو نظيفا . معجون الاسنان كان بنكهة الفراولة .نكهة لا احتملها البتة .كان الرجل الخروف يعبث بمصباح الطاولة .يطفأه ويشعله .

" هاي..انظر الى هذا .." ملتفتا نحوي بابتسامة .." هذا جميل . صح ؟"

***

" سأقدم لك ثلاث وجبات يوميا " قال الرجل الخروف .

وفي الثالثة زوالا سأقدم لك بعض كعك الدونات كوجبة خفيفة .انا اقوم باعدادها بنفسي .لهذا فإنها مقرمشة ولذيذة "

لا ريب ، كعك الدونات الطازج والساخن كانت على الدوام من وجباتي المفضلة .

" اوكي . اكشف عن كاحلك الان ."

كشفت عن كاحلي .

سحب الرجل الخروف من تحت السرير كرة حديدية بدت ثقيلة معلقة بسلسلة.

لف القيد حول كاحلي واغلق عليه واسقط المفتاح في جيبه على صدره .

" انه بارد بشكل فظيع "

" لا تقلق، ستتعود عليه "

" سيدي الرجل الخروف .. هل فعلا يتعين علي المكوث هنا طيلة شهر ؟"

" نعم . هذا يعتمد "

" لكن لو قمت باستظهار هذه الثلاث كتب كاملة .. هل سيطلق سراحي ؟"

" لا اعتقد انه سيفعل "

" اذن ما الذي سيحل بي ؟"

أومأ الرجل الخروف براسه وقال " واو ..هذا سؤال صعب "

"ارجوك ..اخبرني .. امي تنتظري في المنزل "

" حسنا ..ايها الطفل سأقولها لك مباشرة ..سيقوم بحزّ اعلى راسك .. و يقوم بسحب شِقّي دماغك منه " .

صدمتني كلماته جدا ..

قلت بعد ان استرجعت انفاسي : "انت تقصد ..ان هذا الرجل العجوز .. سيلتهم دماغي ؟ "

قال الرجل الخروف على مضض "نعم .. انا متأسف جدا ..لكن هذا ما عليه الامر فعلا"

جلست على السرير ودفنت وجهي بين يدي .لماذا شيء كهذا يحصل لي ؟ كلما فعلته هو انني كنت اذهب للمكتبة كي استعير بعض الكتب .

" لا تصعبها على نفسك " نصحني الرجل الخروف .

" سآتيك ببعض الطعام ، ساعد لك وجبة ساخنة لذيذة ستهدئ من روعك "

***

" سيدي الرجل الخروف سأسألك ..لماذا يريد الرجل العجوز اكل دماغي ؟"

" لان الادمغة المحشوة علما تكون لذيذة جدا ..هذا هو السبب ..تكون شهية ودسمة و فيها بعض الحبوب "

" اذن لهذا السبب يجعلني اقضي شهرا كاملا احشو كل هذه المعلومات في ذهني ؟"

" نعم هذه هي الفكرة "

" الا تعتقد ان هذا فظيع وقاسٍ" اتحدث من وجهة نظر الضحية طبعا.

" لكن هيا .. هذا النوع من الامور يحدث في كل المكتبات في جميع الاماكن .. بشكل اكثر او اقل ..هذا هو "

هذه المعلومة ادهشتني .

"في كل المكتبات في كل مكان ؟" قلتُ متلعثما.

"لو كان كل ما يفعلونه هو ان يعيروا المعارف .. من ذا الذي سيكافئهم ؟"

"لكن هذا لا يعطيهم الحق ان يسلخوا جلد رؤوس الناس ليلتهموا ادمغتهم .الا تعتقد ان هذا كثير نوعا ما ؟"

نظر اليّ الرجل الخروف بحزن وقال : " حظك كان ورقة خاسرة .. هذا هو طي الامر ونشره .. هذه الامور تحدث "

" لكن امي ستمرض قلقا عليّ ، هل يمكن ان تساعدني على الفرار من هنا ؟"

" لا .. لن يجدي هذا نفعا .. لو فعلت هذا .. سأُرمى في وعاء مليء باليعاسيب المشعرة ..وعاء كبير .. مع عشرة الاف حشرة تزحف لمدة ثلاثة ايام كاملة "

"هذا مريع "

" اذن كما ترى، لا يمكنني ان اسمح بهروبك .. ايها الطفل ، انا اسف فعلا "

غادر الرجل الخروف ، تركني في الزنزانة الضيقة ارتميت على الفراش الصلد وبكيت لمدة ساعة كاملة ..وسادتي الزرقاء المحشوة بحبوب الحنطة السمراء اضحت في النهاية مبتلة وانا المبتلى .الكرة المعدنية التي كانت تشد ساقي بدت وكأن وزنها كان طنا.

***

عندما نظرت لساعتي كانت تشير الى السادسة ونصف بالضبط .. لا بد وان امي تحضر العشاء وتنتظر عودتي .كان بإمكاني رؤيتها في عين خيالي تعبر الى المطبخ وعيناها مثبتتان على عقارب الساعة ، لو لم اعد للبيت في وقت ذهابي للنوم ستكون قلقة جدا علي، نعم امي كانت هذا النوع من الامهات ..لما يحدث شيء، دوما تتوقع الاسوأ ، وتضخم الامور ككرة الثلج التي تتدحرج وتصبح اكبر كل لحظة ، وتبدا في تصور كافة الامور المريعة التي يمكن ان تحدث لي .. او انها لنقل .. تجلس على الاريكة وتشاهد التلفاز .

السابعة صباحا ..طرق احدهم الباب ..طرقة خفيفة وهادئة .." ادخل " قلت .

دار المفتاح في القفل ودخلت فتاة تدفع عربة الشاي .كانت جميلة لدرجة ان عيناي تألمت لما انعمت النظر اليها .كانت تبدو بمثل سني ، عنقها ، يداها وكاحلا قدميها كانوا رقيقين جدا .. كما لو انهم سينكسرون لدى ادنى ضغط ،شعرها الطويل والمرتب كان يشع كما لو انه ظفر مع الجواهر ..امعنت فيّ النظر لوهلة .ثم اخذت الاطباق الموجودة على عربة الشاي ووضعتها على الطاولة ، فعلت ذلك كله دون ان تنبس بكلمة ، وانا بقيت ابكما ..منبهرا بجمالها.

الطعام بدا شهيا ، حساء قنفد بحر مازال ساخنا ، و اسقمري اسباني مشوي (بالكريمة الحريفة) ، هليون ابيض مزخرف بحبات السمسم ، وسلطة خس وخيار .ولفة من الزبدة الدافئة ، وكان هناك ايضا كوب كبير من عصير العنب ، وعندما انتهت الفتاة من وضعها اشارت لي بيديها :

الان كفكف دموعك ، لقد حان وقت الطعام.

" لا تمتلكين صوتا ؟"

لا ، احبالي الصوتية دُمّرت لما كنت صغيرة

"دمرت ؟ " صرختُ من المفاجأة .. "من فعل هذا ؟"

لم ترد علي ..بدل ذلك ابتسمت بعذوبة كانت ابتسامة ..كانت الابتسامة من الرقة حيث ان الهواء الذي من حولها قد اصبح مشرقا.

ارجو تفهم .. الرجل الخروف ليس سيئا .. قلبه ابيض .. لكن الرجل العجوز يرهبه .

"انا افهم هذا لكن يبقى ..."

اقتربت مني ووضعت يديها على يدي . كانت يدا صغيرة ، ناعمة ..احسست قلبي يوشك ان ينفطر الى قطعتين .

تناوله ما دام ساخنا ...سيجلب لك هذا القوة والطاقة .

فتحت الباب وغادرت الغرفة ..تدفع طاولة الشاي المتحركة امامها ..كانت خطواتها سريعة وخفيفة كنسائم الصيف.

الطعام كان لذيذا ..لكني لم اتناول الا النصف بقيت افكر في امي .. وانها لو لم اعد للمنزل قريبا يمكن ان يدفعها القلق الى انهيار عصبي اخر كما انها ربما نست ان تطعم عصفوري الاليف ولربما هو ايضا جاع حتى الموت .

حتى الان لا اعرف كيف سيمكنني الافلات ؟ كرة معدنية ثقيلة تقيد كاحلي ..والباب مغلق ايضا ..حتى لو فرضت انني تمكنت من فتح الباب ..هل يمكنني ان اخرج فعلا من متاهة الممرات تلك ؟ تنهدت و بدأت في البكاء مجددا .لكن الاستلقاء على السرير والاجهاش بالبكاء لن يساعدني في شيء ، لهذا استجمعت قواي مجددا وانهيت طعامي .

قررت ان افضل شيء يمكنني فعله للوقت الحالي هو ان اجلس لطاولتي واطالع .

وفي خلال تفكيري في وسيلة للهرب .. علي ان اوهم عدوي ان يلقي حذره مني متظاهرا انني اطيع اوامره .فكرت ان هذ الامر لن يكون صعبا جدا ..بعد كل شيء ..كنتُ من تلك النوعية من الاولاد التي تتبع الاوامر بشكل عفوي.

***

التقطت كتاب يوميات جامع ضرائب عثماني . و بدأت المطالعة ..الكتاب كُتب بالأسلوب التركي القديم .رغم هذا وبشكل غريب وجدت ان فهمه سهل بالنسبة لي ..ليس هذا وحسب .لكن كل صفحة علقت في ذهني كلمة بكلمة ..لسبب ما ذهني قام بحفظ كل ما قمت بقراءته و خلال تصفحي للكتاب اصبحت انا نفسي جامع

الضرائب التركي ابن قرموط حاسير ، الذي تمشى في شوارع اسطنبول مع سيف عربي احدب في وسطه ، جامعا الضرائب المترتبة.

***

عبق الجو برائحة الفواكه والدجاج ، التبغ و القهوة ..كانت رائحتها قوية في جميع ارجاء المدينة ، مثل رائحة النهر الاسن ، الباعة المتجولون كانوا على امتداد الطرقات ينادون على بضائعهم ، التمر والبرتقال التركي وما شابه ذلك ..

كان حاسير رجلا هادئا ، من النوع المريح في التعامل معه ، كان له ثلاث زوجات وست ابناء ، كان ايضا يربي ببغاء وكان هذا شيئا لطيفا بالنسبة لي لأنني اربي عصفور زرزور انثى ايضا .

بعد التاسعة بقليل .. الرجل الخروف ظهر حاملا كوب شكولا والحلويات ،

" حسنا .. لا تحتاج اي شيء ؟"

" ما رايك انت تأخذ استراحة بكوب شوكولا ساخن ؟ "

وضعت الكتاب جانبا .. واخذت كوب الشكولاتة و الحلويات .

"اهلا سيدي الرجل الخروف ..من تكون تلك الفتاة الجميلة التي اتت من قبل ؟"

" اتت منذ فترة ؟؟ اي فتاة ؟ "

" الفتاة التي احضرت لي العشاء "

قال الرجل الخروف مع نظرة متسائلة على وجهه ' هذا غريب '

' انا من احضرت لك العشاء ، كنت تنام على سريرك غارقا في النوم ، وحسب ما ارى الان انا لست فتاة جميلة .. انا مجرد رجل خروف ."

هل كنت احلم ؟؟.

ثم وفي المساء التالي ايضا .. الفتاة الغامضة ظهرت مجددا ..هذه المرة جلبت لي سجقا مطهو على الطريقة الفرنسية ، وسلطة بطاطا ، وسمكا محشوا ،سلطة براعم الفجل ، هلالية كبيرة و شايا اسود محلى بالعسل ..مجرد رؤية كل هذا جعلني جائعا.

خذ وقتك .. انهي كل طعامك .لا تبق شيئا ..

قالت الفتاة بالإشارات كالعادة.

"ارجوك اخبريني من تكونين ؟"

انا هي نفسي ..هذا كل شيء.

"لكن الرجل الخروف اخبرني انك لا توجدين .مع ذلك .."

رفعت الفتاة اصبعها الى شفتيها ، امسكتُ لساني .

الرجل الخروف يعيش في عالمه .انا ايضا اعيش في عالمي .وانت تملك عالمك ايضا ..صحيح ؟

"صحيح"

اذن الا اكون موجودة في عالم الرجل الخروف، هذا لا يعني اني لست موجودة كليا .

" عوالمنا تداخلت معا ..عالمك ،عالمي وعالم الرجل الخروف ..احيانا تتداخل واحيانا تبقى منفصلة ..هذا ما تقصدينه صح ؟ "

اومأت مرتين علامة الصح .

لستُ مغفلا على الاطلاق ، لكن عقلي اختلط علي لما عضني الكلب الاسود ومن حينها لم اعد على ما يرام .

جلست الفتاة على حافة السرير وراقبتني وانا اتناول طعامي من على الطاولة ، كانت تشبك يديها الصغيرتين على ركبتيها ، كانت الفتاة تبدو مثل كاس بلوري يلمع عاكسا اشعة شمس الصباح .

"كنت اود حقا ان اقدمك لأمي ولعصفور الزرزور الذي اربيه ." قلت للفتاة .

"عصفورتي ذكية جدا .. ولطيفة للغاية ."

اومأت الفتاة براسها .

"امي لطيفة ايضا ..لكنها تقلق علي كثيرا ..وهي تفعل ذلك لان كلبا قام بعضي لما كنت صغيرا."

اين نوع من الكلاب ؟

"كلب اسود وضخم . طوق عنقه كان مرصعا بالجواهر وعيونه خضراء .. و اطرافه ضخمة كان هناك ست مخالب في كل برثن كانت اذنيه مشقوقتان وانفه كان بنيا محمرا وكان الشمس لوحته ،هل عضك كلب من قبل ؟"

اشارت : **لا ،اطلاقا** .

والان انس امر الكلب .واكمل عشاءك .

توقفت عن الحديث وانهيت وجبتي . ثم شربت الشاي المعسل ..جعلني هذا اشعر بالانتعاش والدفء.

"عليّ ان اهرب من هذا المكان . امي قلقة ..وعصفورتي ستموت جوعا لو لم اطعمها ."

هل ستأخذني معك ؟

"بالطبع .لكني لست متأكدا اني سأتمكن الخروج ..هذه الكرة المعدنية تقيد كاحلي ..والممرات عبارة عن متاهة ..والرجل الخروف سيتلقى عقابا فظيعا لما يعلم الرجل العجوز اني تمكنت من الهرب وسماحه لي بالمضي "

يمكننا اخذ الرجل الخروف معنا ايضا . نحن الثلاثة يمكننا الهرب معا.

"هل تعتقدين انه فعلا سينظم لنا ؟ "

ابتسمت الفتاة لي ابتسامة مشرقة .

ثم كالليلة الماضية ..انسلت بخفة خلال الباب الذي كان بالكاد مفتوحا ..واختفت .

***

كنت اقرأ على طاولتي لما سمعت صوت القفل يفتح والرجل الخروف يدخل مع طبق من كعك الدونات و كوب من الليمونادة ..

" والان هذا هو الكعك الذي وعدتك به سابقا .. مباشرة من المقلاة .."

"شكرا لك ايها الرجل الخروف "

اغلقت الكتاب واخذت قضمة سريعة من كعك الدونات .. كانت لذيذة بشكل مدهش ..مقرمشة من الخارج و من الداخل كانت لينة تذوب في الفم .

" هذا افضل دونات تناولته على الاطلاق "

" لقد انتهيت من قليهم لتوي .. انا ابدأهم من الاول كما تعلم "

"اراهنك لو فتحت محل دونات .. سيكون ناجحا جدا "

" اجل ، لقد فكرت في ذلك بنفسي .. كم سيكون ذلك رائعا "

" انا اعلم انك تستطيع فعل ذلك"

"لكن من سيحبني كفاية ليأتي الى محلي ؟..انا البس بشكل مضحك ، وهناك اسناني وهي لا تجعلني اظهر بشكل جيد ."

"انا سأساعدك .انا من سيقوم ببيع الدونات والتحدث للزبائن والاهتمام بالمال والاعلان ..حتى اني سأغسل الاطباق ..كل ما عليك فعله ان تطهو الدونات في خلفية المحل ، وحتى انني سأعلمك كيف يمكن ان تغسل اسنانك بالفرشاة ."

قال الرجل الخروف "سيكون هذا رائعا "

***

لما غادر الرجل الخروف ، عدت الى كتابي، عدت لكوني ابن قرموط حاسير مؤلف يوميات جامع ضرائب عثماني ...تمشيت في شوارع اسطنبول طيلة اليوم .جامعا للضرائب لكن لما اتى المساء ..عدت للمنزل كي اطعم ببغائي ، كان القمر هلالا رقيقا جدا يسبح في سماء الليلة ، كان بإمكاني سماعي احدهم يعزف الناي في ناحية من النواحي ، اشعلت البخور في غرفتي ، خادمي الافريقي بدأ بالتحرك واصيطاد البعوض بالمنشة ، كانت هناك ايضا فتاة صغيرة جميلة .. احدى زوجاتي الثلاث ، تنتظرني في غرفتي ، كانت هي من تقدم لي طعام العشاء كل ليلة .

"انه قمر جميل ". قالت لي .."غدا سيكون هناك قمر اخر لكن السماء ستكون مظلمة"

"علينا ان نطعم الببغاء ."

"الم تطعمه منذ قليل فقط ؟ "

"صحيح لقد فعلت "

تحرك جسد الفتاة الحريري في ضوء القمر الرقيق .. كنت مسحورا بهذا .

كررت .. "انه قمر جميل .القمر الجديد سيصلح لنا اقدارنا .."

"سيكون هذا رائعا .." قلت .

***

وكدلفين اعمى ينساب في المياه ، انساب الليل بقمر جديد ..

الرجل العجوز اتى لتفقدي هذه الليلة ، كان مسرورا لأنني كنت غارقا في كتابي ..ورؤيته مسرورا جعلني أُسر قليلا انا ايضا.. مهما كان وضعي الذي انا فيه،فاني ما زلت ابتهج عندما ارى الاخرين مبتهجين .

" سأعوضك على هذا فعلا .." حك صدغه قائلا "لقد تقدمت في عمل ما طلبته منك اكثر مما توقعت ..انت ولد مهذب ."

"شكرا لك سيدي .." انا فعلا احب ان اكون مبجلا هكذا .

"كلما سارعت بإنهاء حفظ تلك الكتب ، يمكنك المغادرة بعدها ".

رفع اصبعه في الهواء "مفهوم؟"

"نعم سيدي "

"هل هناك ما يزعجك هنا ؟ "

"نعم ، هل يمكنك ان تخبرني اذا ما كانت امي وعصفورتي بخير ؟ انا قلق عليهم جدا ."

عبس الرجل العجوز " العالم يمضي في طريقه "

" كل منا يمتلك افكاره الخاصة، وكل يمضي في طريقه، هذا ما حدث بالنسبة لامك و لعصفورتك او لاي كان ..كل يعمل على شاكلته"

لم اكن افهم ما الذي يعنيه من كلامه .. لكن لما انتهى من حديثه قلت باخلاص "نعم "

***

بعد مدة بسيطة من مغادرة الرجل العجوز اتت الفتاة ..وكالعادة انسلت من الباب الموارب .

" انها ليلة القمر الجديد "

جلست الفتاة بهدوء على السرير ،كانت تبدو مرهقة .بهت لونها واضحت اكثر شحوبا ..حتى انها كانت شفافة لهذا امكنني ان ارى الحائط من خلالها .

بسبب القمر الجديد اصبحت هكذا .. انه يقوم باستنزافنا كثيرا ..

"اما انا فكل ما يسببه لي هو وخز بسيط في عيناي ."

نظرت الي الفتاة و أومأت ..**القمر لا يؤثر بك ..لهذا ستكون بخير .انا متأكدة من انك ستجد طريقة للخروج من هنا .**

"وانت ؟"

لا تقلق علي، لا اعتقد انه بإمكاننا ان نفر معا ..لكني متأكدة اني سألحق بك فيما بعد.

"لكن كيف سأستطيع الخروج من هنا دون مساعدتك ؟"

لم تجبني .. بدلا عن ذلك تقدمت مني ومنحتني قبلة على خدي . وانسلت من الباب واختفت ..استلقيت على الفراش ، وانا في ذهول عما حولي لمدة طويلة ..القبلة هزتني بدرجة لم يعد فيها تفكيري منتظما ، وفي نفس الوقت تحول قلقي الى قلق يفتقر الى الحزن ، واي قلق يفتقر الى الحزن والاحباط -في نهاية الامر -هو قلق لا يكاد يستحق الذكر .

بعد مدة قليلة عاد الرجل الخروف ..كان يحمل طبقا مليئا بالدونات ..

" هاي ،انت .. ما الامر ؟ تبدو دائخا .. هل انت مريض ؟ "

"لا. كنت افكر وحسب ."

"هل ما بلغني صحيح .. هل يمكن ان نهرب الليلة ؟ هل يمكن ان اتي ايضا ."

"صحيح ..بالطبع يمكنك المجيء معي .. لكن من اخبرك ؟"

"لقد التقيت بفتاة ما في الممر منذ دقيقة وهي اخبرتني . قالت انه يمكننا ان نخرج معا ..لم اكن اعلم ان هناك فتاة بهذا الجمال واللطف هنا ..هل هي صديقتك ؟"

"حسنا امممم .." تمتمت .

"فهمت .. يا الهي .. من المثير جدا ان تملك صديقة جميلة مثلها ."

"لو تمكنا من الخروج من هنا سيدي الرجل الخروف .. اؤكد لك اني سأعرفك بالكثير من الاصدقاء الرائعين ."

"سيكون هذا رائعا .."

"لكن لو لم نتمكن من الهرب ..سنعاقب كالجحيم ."

"سنعاقب كالجحيم تقصد بها الوعاء الذي يحوي عشرة الاف يعسوب ؟"

"هذا يعتمد على مدى غضب الرجل العجوز .." قال الرجل الخروف بحزن .

فكرة ان تكون في وعاء به عشرة الاف يعسوب مشعّر لمدة ثلاثة ايام .اصابتني برعشة سرت في عمودي الفقري ، بالرغم من الدونات الساخن الذي اكلته للتو وبالرغم من قبلة الفتاة التي ما زلت احس بها على خدي.

كنت قد اكلت ثلاث قطع دونات . الرجل الخروف اكل ستة .

"لم اضبط نفسي لأني كنت جائعا ." قالها على سبيل الاعتذار ومسح بعض السكر من جانب فمه بأصبعه الصغير .

***

من مكان ما دقت الساعة معلنة التاسعة .. نهض الرجل الخروف وعدل من اكمامه عدة مرات كي يعدل زي الخروف على جسمه ،حان وقت مغادرتنا ثم فك الكرة المعدنية عن قدمي .

خرجنا من الغرفة ، وانطلقنا في الممر المعتم ، كانت قدماي حافيتان لأني تركت حذائي في الزنزانة . امي ستغضب جدا لما تعرف اني تركتهما في مكان ما ، كانت احذية جلدية ممتازة ، وكانت قد اشترتها لي كهدية عيد ميلادي ، رغم هذا لا يمكنني ان اخاطر بجلبها معي لأنه يمكن ان تحدث صوتا يوقظ الرجل العجوز .

كنت افكر في حذائي لما كنا نعبر الى الباب الحديدي الكبير ، كان الرجل الخروف يقودني ، كنت اطول منه قليلا . لذا كنت اشاهد اذانه تصعد وتنزل نتيجة مشيه .

"سيدي الرجل الخروف ." همست له .

"ماذا ؟ " همس لي ايضا .

"هل الرجل العجوز يسمع جيدا ؟ "

"الليلة هي ليلة القمر الجديد ..لذا سيكون نائما في غرفته .لكن سمعه حاد .. كما تلاحظ .. من الافضل لك ان تنسى امر حذائك . الحذاء يمكن ان يعوض .. لكن لا شيء يعوض دماغك او حياتك ."

"انت محق في هذا الامر ."

"لو استيقظ ولاحقنا ..بتلك العصا من الصفصاف .. انتهت القصة .. لا يمكنني ان افعل اي شيء لك وقتها ..وعندما يضربني بها .. سأكون عديم النفع .. كما لو انني اصبح عبدا له ."

"هل تملك تلك العصا اية قوى خارقة ؟"

"لقد فهمتَ الامر الان ". ثم فكر للحظة ..ثم اضاف :

"لكنها تبدو كانها عصا صفصاف عادية .. لكن فعلا لا ادري .."

"لكنه عندما يبدا بضربك بها .. وقتها لا يمكن ان تفعل اي شيء؟ ."

"هكذا هو الامر ،لذا من الافضل ان تنسى امر حذائك ."

"سافعل .لن افكر بهم ."

ومضينا ابعد قليلا في الممر دون ان نتحدث .

"سيدي الرجل الخروف . "

"ما الامر ؟ ليس عن الاحذية مجددا صح ؟"

لقد نسيت امرهم .لكن ما ان ذكرهم في سؤاله حتى تخليت عن التفكير بهم كلية.

***

السلالم كانت باردة وزلقة ، الحواف الامامية للدرج الاسمنتي كانت بالية لكثرة الاستعمال . كنت اخطو خائفا من الا اجد موضع قدمي ، لما كنت ارتقي هذه السلالم بقدمي العاريتين في الظلام ، لم يكن شعورا جيدا لان الارضية كانت زلقة ولينة ، واحيانا اتعثر ، تبا ، كان علي ان ارتدي تلك الاحذية في كل الاحوال.

اخيرا، وصلنا الى اعلى الدرج ووجدنا الباب الحديدي ..اخرج الرجل الخروف حلقة المفاتيح من جيبه ..

"افعل هذا بهدوء لا نريد ان نوقظ الرجل العجوز "

"هذا صحيح "

ادخل المفتاح واداره جهة اليسار . كان هناك صوت للانفتاح وانفتح الباب مع صوت صرير طويل ..لم يكن هناك اي هدوء في فعل هذا !

"من هنا تبدا المتاهة المعقدة .."

"صح ..هذه متاهة فعلا ..انا افكر ، لا يمكنني تذكر الطريق جيدا .. لكننا سنجد طريقة ما ."

سماع هذا جعلني اخاف .. المشكلة في المتاهة هو انك لا تعلم ما اذا كنت قد اخترت الطريق الصحيح حتى تخرج منها .لو لم تخرج منها ستكون مخطئا ..وسيكون من المتأخر جدا ان تعود وتبدا من جديد ..هذا هو المشكل مع المتاهة .

***

وكما توقعت ،الرجل الخروف .. جرب عدة طرق .. واعاد الكرة مرارا .. حتى اني شعرت بطريقة ما اننا نقترب اكثر واكثر من غايتنا . احيانا كان يتوقف ويضع اصبعه على الحائط ويلعقه ويفكر بتركيز شديد يظهر على سحنته .او يقرفص ويضع اذنه على الارضية ويستمع ، او كان يتحدث بنغمات معينة مع العناكب التي بنت اعشاشها على امتداد السقف .وامام طرق متقاطعة كانت طريقة اختيار الرجل الخروف لطريقه هو ان يدور في دوامة ، كدوامة الزوبعة ، قبل ان يختار الطريق الذي سيسلكه .. هذه كانت طريقة تذّكر الرجل الخروف .. وهي ابعد ما يكون عن طريقة تذكر الناس العاديين للأشياء.

وخلال ذلك كله كان الوقت يمضي و كان الفجر يقترب ..وكانت ليلة القمر الجديد تتلاشى شيئا فشيئا .

الرجل الخروف واياي حثثنا الخطى ، كنا نعرف انه علينا ان نجد الباب الاخير قبل ان يطلع النهار .. والا فان الرجل العجوز سيستيقظ ليجدنا ويهرع في تعقبنا .

"هل تعتقد انه يمكننا ان ننجح ؟"

"نعم .. من هذا الطريق وصاعدا الامر اصبح سهلا .."

كان من الواضح ان الرجل الخروف يعرف بقية الطريق ، مضينا عبر الممرات ..استدرنا مرة .. ثم اخرى .. من دون توقف ..اخيرا الممر الاخير ظهر.. وكان بإمكاننا رؤية الباب في نهايته ، والضوء يمر من خلال شقوقه .

"رأيت؟؟ لقد قلت لك ذلك ." قال الرجل الخروف بفخر .

"لقد وجدنا طريقنا ، كل ما علينا فعله هو ان نعبر الباب ونكون احرارا ."

***

فَتح الباب .. وكان هناك الرجل العجوز بانتظارنا .

كانت نفس الغرفة الاولى التي التقيت فيها به ، الغرفة 107 ، في الطابق السفلي للمكتبة . وكان يجلس هناك امام مكتبه ، وكانت عيناه مثبتة علي .

وراء الرجل العجوز كان هناك كلب اسود ضخم ، كلب بعيون خضراء وطوق جلدي مرصع بالجواهر .

كان يملك اطرافا ضخمة ، وست مخالب في كل برثن ، كانت اذناه مشقوقتان وكان انفه بنيا محمرا و كأن الشمس لوحته ، كان نفس الكلب الذي قام بعضي قبل عدة سنوات .وكان جسد عصفورة الزرزور داميا بين فكيه .

بدأت في البكاء و النشيج وتراجعت للخلف لكن الرجل الخروف امسك يدي :

" لقد انتظرناكم وانتظرناكم "

"لم استغرقتم كل هذا الوقت ها ؟ " هدر الرجل العجوز.

"يمكنني ان افسر لك كل شيء سيدي ."

"صه ، ايها الاحمق " ارعد الرجل العجوز . اخرج عصا الصفصاف من جيبه الخلفي ولوح بها امام المكتب .رفع الكلب اذنيه استعدادا ، وصمت الرجل الخروف .وغرقت الغرفة في الصمت .

"والان ، كيف يمكنني ان اتخلص منكما ؟"

"اذن ، انت لم تنم بسرعة جراء ان الليلة ليلة قمر جديد ؟ وكل تلك الاشياء ؟"

سالته بخشية .

هزأ مني الرجل العجوز " انت وقح فعلا ، لا اعلم من امدك بهذه المعلومة .لكني لست مغفلا ليتم خداعي بسهولة ، يمكنني ان اقرأ افكاركما بالسهولة التي يمكنني ان اقطّع بطيخة في وضح النهار ."

اظلمت الدنيا في عيني، لم اعد اهتم للأمر ولا حتى بالعصفور الاثير لدي الذي قتل.

لقد فقدت حذائي .. ولن اتمكن من رؤية امي مجددا ..

"وانت" اشار بعصا الصفصاف للرجل الخروف ."سأقطّعك الى شرائح رقيقة واطعمك لليعاسيب ."

اختفى الرجل الخروف خلفي مرتجفا خوفا من راسه لأخمص قدميه .

"اما بالنسبة لك .." قال متوجها لي. "صديقي الصغير ."

"سأطعمك لهذا الكلب. سيقوم بالتهامك حيا .سيكون موتك بطيئا .ستموت وانت تصرخ ..لكن دماغك لا ، دماغك سيكون لي .لن يكون بالطبع دسما بشكل كامل، اه لو انك فقط انهيت تلك الكتب**!!** .لكني لن اتذمر ، سآكله كله حتى اخر قضمة منه"

كشر الرجل العجوز اسنانه عن ابتسامة شريرة .و التمعت عينا الكلب حماسة .

كان هذا عندما لاحظت ان جسد العصفور بين فكي الكلب قد بدا بالتضخم .

لما وصل لحجم الدجاجة تقريبا اجبر فكي الكلب على ان تنفتح تماما مثل رافعة السيارة ، حاول الكلب ان يعوي و لات حين مناص ، انفطر فكا الكلب .كان هناك صوت تقصف للعظام ، الرجل العجوز هرع ليسوط الزرزور بعصاه الصفصافة لكن جسد العصفور استمر بالتمدد حتى اصبح بحجم الكرة ،ضاربا بسرعة الرجل العجوز على الحائط ، و امتلأت الغرفة الصغيرة بصوت قوي لخفقان الاجنحة .

***

اهرب هذه هي فرصتك .. قال العصفور بصوت الفتاة .

لكن ماذا عنك ؟ سالتُ العصفور الذي هو الفتاة الان .

لا تقلق علي .سألحق بك فيما بعد .. اسرع ..لو لم تسرع ..ستضيع للابد ..قالت الفتاة التي كانت العصفور.

اخذت يد الرجل الخروف وهربت جريا من الغرفة ولم التفت مطلقا.

كنا في الصباح الباكر .. والمكتبة خاوية على عروشها ..

صعدنا السلالم ..واجتزنا الرواق الرئيسي الى غرفة المطالعة ، كسرنا نافذة وقفزنا من خلالها وجرينا بأقصى ما نستطيع للحديقة .تهالكنا على العشب ونحن نستريح ، اخذنا دفقات من الهواء وعيوننا مغمضة . ولم افتح عيناي لمدة من الزمن .

لما فتحت عيناي مجددا .كان الرجل الخروف قد اختفى ..نهضت قائما و بحثت حولي . صرخت باسمه بأقصى ما تمتلك رئتاي من هواء ..لكنني لم اتلقى ردا ..كانت شمس الصباح قد بدأت تلقي بأول اشعتها على الاشجار والاوراق .

الرجل الخروف اختفى دون ان يقول لي كلمة واحدة ، اختفى كما تتبخر قطرات الندى في الصباح .

***

امي كانت قد اعدت فطورا ساخنا ووضعته على الطاولة .. لما كانت تنتظرني في البيت .. لم تسالني عن شيء ..لم تسالني لماذا لم اتي المنزل بعد المدرسة ..او اين قضيت الثلاث ليالي الماضية ؟ .. او اين هو حذائي ..ولا سؤال واحد او شكوى ..لم تكن هي نفسها على الاطلاق .

عصفورتي كانت قد رحلت ..لم يبق الا قفصها الفارغ ، لم اسأل ما الذي حدث .كان يبدو انه من الافضل ان ادع الامور تمر .بدت سحنة امي قد اسودت نوعا ما .وكأن مجموعة من الظلال تحوم حولها ، لكن ربما تهيأ لي انها كذلك وحسب.

بعد هذا ، لم اذهب الى مكتبة المدينة مجددا ، اعرف انه كان علي ان ابحث عن المدير المسؤول عن المكتبة واخبره عن الزنزانة الصغيرة التي تقع في الطابق السفلي .وعلى اية حال .ربما يمر طفل اخر بتجربتي الفظيعة التي مررت بها ومع ذلك ..مجرد ان ارى مبنى المكتبة من بعيد فقط ..يجعلني ذلك لا افكر بالأمر مجددا.

افكر احيانا بحذائي الجديد الذي تركته ورائي في الطابق السفلي هناك ، وهذا يعود بي الى ذكرياتي مع الرجل الخروف والفتاة الجميلة البكماء.

هل هم موجودون حقا ؟؟ كي اكون صادقا .. لست متأكدا .كل ما انا متأكد منه هو انني فقدت حذائي وعصفورتي الاثيرة.

***

توفيت امي الثلاثاء المنصرم .. كانت تعاني من مرض عضال غامض .وصباح ذلك اليوم رحلت بهدوء .كانت الجنازة متواضعة .والان انا وحيد تماما ..لا ام لي ..ولا عصفور ..ولا الرجل الخروف ايضا ..ولا الفتاة .. انام هنا وحدي في الظلمة ..الساعة حوالي الثانية صباحا ..وافكر في تلك الزنزانة في الطابق السفلي للمكتبة.

افكر في شعوري بالوحدة ، و كم هو عميق الظلام الذي يلفني ..ظلام حالك السواد كظلام ليلة قمر جديد.

[تمت]

هاروكي موراكامي

ترجمة للعربية : يونس بن عمارة

ديسمبر 2014